

(التفضيل الجمالي -المفهوم و المتعلقات-)

أ/حوة فطوم

جامعة عمّار ثليجي -الأغواط-

ملخص:

يُعَدُّ التّفضيل الجمالي واحداً من أقدم المواضيع في مجال الجماليات الأمبيريقية لكنه على الصعيد المحلي، يعدّ من أكثر مواضيع علم النفس ندرة في حدود علم الباحثة. وتهدف الدراسة الحالية إلى تعريف التّفضيل الجمالي و مناقشة علاقته ببعض المفاهيم كما تم عرض النظريات التي فسرت هذه الظاهرة، و العوامل المؤثرة فيها، بالإضافة إلى أساليب قياسها.

كلمات مفتاحية: التذوّق الجمالي ، الحساسية الجمالية، التّفضيل الجمالي، الحكم الجمالي، الخبرة الجمالية.

Abstract:

Aesthetic preference is considered as one of the oldest topics in the field of empirical aesthetics but at the local level, it is considered as one of the most few psychological topics Within the limits of The researcher's knowledge. The current study aims to define the aesthetic preference and to discuss the relationship between the aesthetic preference and some concepts. The study shows the theories that explain the phenomenon and the factors that have an impact on it, in addition to the measuring parameters.

Keywords: aesthetic appreciation, aesthetic sensitivity, preference aesthetic, aesthetic judgment, experience aesthetic.

مشكلة الدراسة:

بشكل لا إراديّ أو لإراديّ، نقومُ باختيارات جماليّة كلّ يومٍ، ممّا يجعلنا ندرك كيف أنّ الجمال يُلقِي بضوئه على جميع نشاطات حياتنا؛ سواءً تعلّق الأمر بالاستمتاع أم بالإنتاج.

وتعتمد هذه النشاطات في وجودها أيضاً على العديد من عمليات التدقيق والتفضيل الجمالي وإصدار الأحكام.

و قد عرّف "شاكر عبد الحميد" الأذواق بأنها " تفضيلات طويلة الأمد لأنماط فنية معينة"، وقد رأى أنّ هذا التعريف ينطبق على جميع ميادين الفن بأنواعها.

(شاكر عبد الحميد، 2001، ص 30)

ومن البديهي ومن المنطق أنّ الناس المختلفين يجدون قيماً مختلفة في الفن أو يستمتعون به لأسباب مختلفة، والسبب الأكبر في ذلك، هو أنّهم يقبلون على الفن و قد تفاوتت درجات الفهم للعمل، وتباينت قدراتهم على الانتباه والحساسية الانفعالية وما إلى ذلك...

و بذلك سعى علماء النفس لإجراء دراسات التفضيل الجمالي في مجالات فنية مختلفة وعلاقته بمتغيرات أخرى ونذكر من بين هذه الدراسات تلك الدراسات التي ركزت على تأثير التخصص والتدريب على التفضيل الجمالي كدراسة "نشوى زكي حبيب" (1999) والتي توصلت إلى تفضيل المتخصصين للمعقد من الأعمال الفنية، في حين فضل غير المتخصصين البسيط منها. و دراسة "مُصطفى سُويف" و"أيزنك" (1971)، التي هدفت إلى الكشف عن تأثير الاختلافات الثقافية في التفضيلات الجمالية؛ لتسفر عن تفضيل الفنانين البريطانيين للأشكال البسيطة، وتفضيل غير الفنانين منهم للأشكال المعقدة. في حين فضل الفنانون المصريون الأشكال المعقدة وغير الفنانين منهم فضلوا الأشكال البسيطة. وكانت هناك دراسات أخرى اهتمت بعلاقة التفضيل الجمالي بعوامل الشخصية و من بين الرّواد في هذا المجال في البيئة العربية نجد " شاكر عبد الحميد" (1989)؛ الذي أجرى دراسة كانت قد هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين التفضيل الجمالي لبعض اللوحات الفنية؛ منها التمثيلية، ومنها المجردة و بعض سمات الشخصية و التي كشفت عن وجود ارتباط منحن دالّ بين تفضيل المجرد وسمّة التّصلّب لدى الذّكور، و بين تفضيل الفنّ المجرّد والنّفور من الغموض لدى الإناث، وفي دراسة أخرى له في نفس السنة هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين التّفضيل الجمالي لنماذج من الشعر العربي الحديث والقصة القصيرة العربية على بُعْدَي (البسيط -

المُعقّد)، وبعض سمات الشخصية، حيث أسفرت عن وجود ارتباطات منحنية دالة بين التفضيل الجمالي للأعمال الأدبية البسيطة، وسمتي العصابية والتصلب لدى عينة الذكور،

بينما لا توجد ارتباطات مماثلة لدى عينة الإناث. في حين نجد من بين الدراسات الأجنبية التي أكدت على وجود ارتباط بين الشخصية والتفضيل الجمالي دراسة "أرتشبييل" و"ستانج" Archbell & Stange، وهناك كذلك من درس التفضيل الجمالي وعلاقته بنشاط الدماغ مثلما أكد "كواباتا" و"زكي" Kawabata and Zeki (2004) في دراسة لهما حول التصوير العصبي وعلاقته بالتفضيل الجمالي، حيث وجد أن النشاط في القشرة الدماغية للفص الجبهي؛ كان أكبر للمثيرات التي تصنف على أنها جميلة، في حين كان النشاط في القشرة الحركية أكبر للمثيرات التي تصنف على أنها قبيحة.

وكانت هناك دراسات تناولت تأثير عوامل أخرى على التفضيل الجمالي تلك التي تتعلق بظروف فيزيقية وديمغرافية معينة، يتم إدخالها كمتغيرات وسيطة؛ فجاءت متباينة في نتائجها. ومن أكثر المتغيرات الديمغرافية تناولا في هذا الإطار؛ نجد الجنس الذي حظي بحصة الأسد من الدراسات، كدراسة "السيد دزدره" (1998)، والتي كشفت عن وجود تفضيل لكل من المعقّد والمتوسط من الأعمال الفنية لصالح الذكور، وتفضيل البسيط لصالح الإناث على اختبار التدوق الجمالي. أما دراسة "أرتشبييل وستانج" Archbell & Stange؛ فقد أظهرت أن الإناث يملن لتفضيل الأعمال الفنية غير التمثيلية، وفي الجانب الآخر كانت هناك دراسات قد تناولت تأثير متغير الجنس لكنها أسفرت عن عدم وجود فروق، فمثلا دراسة "أمنية الشناوي حسن" (1999) أسفرت عن عدم وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في درجة تفضيل كل خاصية من خصائص المثير المرئي المعقّد والبسيط. وهذا ما أثبتته نفس الدراسة لمصطفى سويف و"أيزنك" (1971)، ودراسة "جون أوسبورن" و"فارلي فرانك"، كما كانت هناك دراسات في التفضيل الجمالي للأعمال الأدبية من طرف "شاكر عبد الحميد" (1989)، والتي هدفت إلى دراسة الفروق بين الجنسين في التفضيل الجمالي للأعمال الأدبية، وقد أظهرت نتائجها تفضيل الذكور للأعمال الأدبية المعقدة أكثر من الإناث.

وبناء على ما سبق نطرح الإشكاليات التالية:

- ما مفهوم التفضيل الجمالي
- ما المفاهيم المتعلقة بالتفضيل الجمالي
- ما النظريات المفسرة للتفضيل الجمالي
- ما العوامل المؤثرة في التفضيل الجمالي
- ما طرق قياس التفضيل الجمالي

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية للكشف عن مفهوم التفضيل الجمالي و المفاهيم المتعلقة به، كما تهدف إلى التعرف على النظريات المفسرة له و العوامل المؤثرة فيه وطرق قياسه.

- أهمية الدراسة :

- 3- تُعْتَبَرُ هذه الدِّراسة (في حدود علم الباحثة)، ثاني دراسة محلية بعد الدراسة التي تناولت فيها متغير التَّفضيل الجمالي وعلاقته بالأسلوب المعرفي (الاعتماد- الاستقلال عن المجال الإدراكي) والتي كانت هي الأخرى في حدود علمها الأولى من نوعها في الجزائر.
- 5- وَتَتَضَحُّ أَهْمِيَّةُ الدِّراسة أيضا من خلال أَهْمِيَّةِ المجال الذي تتَمُّ فيه؛ ألا وهو مجال التَّربية الجماليَّة، بعد أن أصبح الاهتمام به حتميَّةً حضاريَّة تفرضها التَّغيُّرات الطَّارئة على المجتمعات؛ على اختلاف أعراقها سواء تَعَلَّق الأمر بأسلوب الحياة أم بأسلوب التَّفكير.

- أسباب اختيار الموضوع :

- الفضول العلمي والرغبة في اكتشاف هذا العالم المعقّد والمتميز للجمال والفنّ.
 - الميول الأدبيَّة والفنِّية للباحثة.
 - الإهمال الذي يَطْبَعُ مجال البحث في الجماليات على الصَّعيد المحليّ .
- قبل تناول التفضيل الجمالي لا بد أن نُعرِّج على المصطلح الذي يحتويه ألا وهو التذوق الجمالي، و هذه الخطوة مهمة جدا للولوج بشكل منطقي في الموضوع من العام إلى الخاص، مما يجعل المفاهيم أكثر وضوحا.

أولاً: التذوق الجمالي Aesthetic appreciation :

يُعَدُّ التذوق الفني ظاهرة معقدة وثرية؛ فقد تعددت اتجاهات الباحثين و الكتاب في تناولهم له كُلُّ من زاوية تخصصه، و ما عَزَزَ ذلك الثراء هو هذا الإيقاع المتغير الذي يتسم به من عصر إلى آخر، و من ثقافة إلى أخرى.

- تعريف التذوق الجمالي:

لم يكن هناك اتفاق على تعريف التذوق الجمالي؛ فكلُّ يُعَرِّفُهُ من زوايته الخاصة، بحكم أن هذا المفهوم موجود في مجالات عدة تختلف فيما بينها، ومن بين هذه المجالات نجد الفن بكل أنواعه، والاقتصاد، والتسويق، والأدب، وعلم النفس في الأخير الذي يدرس هذا المفهوم ضمن هذه المجالات؛ وفيما يلي عرض لمجموعة من التعاريف لهذا المصطلح.

- تعريف التذوق الجمالي لغةً:

ورد في "لسان العرب" لـ (ابن منظور) أن الذوق مصدرٌ لذاق الشيء، يذوق ذوقًا ومذاقًا والمذاق هو طعم الشيء، والتذوق يكون بالعم وبغير العم، أما الفعل تَذَوَّقَ أي ذاق مرة بعد مرة، والكلمة ذات أصل مادي لكن معناها اتسع وأصبحت تُطلق على كُلِّ ما يُدركه المرء من خلال حواسه و وجدانه (ابن منظور، ب ت، ص 1526).

- تعريف التذوق الجمالي اصطلاحًا :

وقد جاء في المعجم الفلسفي "لإبراهيم مذكور" (1983) تعريف للذوق أو التذوق بأنه "ملكة الحكم على الأعمال الفنية عن طريق الإحساس والتجربة الشخصية دون تقيد بقواعد معينة وكثيرا ما تدخل في هذا الحكم ميول الفنان وهواياته". (إبراهيم مذكور، 1983 ، ص 89) و يُعَرِّفُهُ "بوشكا" (Boşca, L., 2011) بقوله " يشير التذوق إلى كل من القدرة على استمداد السرور واللذة من الأشياء الطبيعية والفنية، والقدرة على تمييز خصائص الأشياء.

(Boşca , L., 2011, p 26)

وحَسَبَ "هيوم" D. Hume، يُفْهَمُ الذوق على أنه وسيلة لتمييز بعض خصائص الأشياء من خلال الحواس الخمسة (Ibid, p 26).

أما "ماركوس نادال" (Nadal.M, 2007)؛ فيرى أن التذوق الجمالي هو " تلك القدرة التي تُمكن الإنسان من تقسيم العالم إلى أشياء جميلة وقبيحة، وهي قدرة مبنية على العمليات الإدراكية والعاطفية الموجودة من قبل" (Nadal, M. , 2007 p IV).

يُعرّف "هيدجر" Heidegger التذوق بأنه وظيفة المتذوق في إعادة الإنتاج (reproduction) للرؤية الإبداعية للموضوع الجمالي (توفيق سعيد، 2002، ص 144).

مما سبق من تعريفات نلاحظ أن معظمها يتفق على اعتبار التذوق قدرة، وبأنه وسيلة لتمييز الجميل من غيره و التمتع به، في حين يعكس تعريف "هيدجر" وجهة نظر "فيثومينولوجية" سلبية لعملية التذوق من حيث ثرائها وتعقدها وديناميكيته، بدليل أن "هيدجر" يُفضّل استخدام مصطلح "حِفْظِ الْعَمَلِ الْفَنِيِّ"؛ عوضاً عن مصطلح التذوق الجماليّ للدلالة على العملية ذاتها؛ أي أنّه يرى أن المُتَلَقّي لا يضيف جديداً على العمل الفنيّ، إنّما يقتصر دوره على الاستقبال فحسب، وهو بذلك يقترب من وجهة نظر "شوبنهاور" و "كروتشيه" حول عملية التذوق.

- عناصر و مكونات التذوق الجمالي:

يتميز التذوق الجمالي بكونه نسيجاً سلوكياً مركباً، حيث يتكوّن من مجموعة من العناصر التي يتميز كلّ منها بخصائص مُعيّنة، ويتمّ تناوله بالدراسة إمّا بشكله العامّ أو بتجزئته إلى عناصره، و رغم ذلك الاختلاف بين تلك العناصر إلّا أنّه اختلاف نظريّ نوعاً ما، ففي الواقع هناك تداخل كبير، بحيث يصعب الفصل بينها تتمثّل هذه العناصر في الحساسية الجمالية، والتّفضيل الجماليّ، والحكم الجماليّ، الخبرة الجمالية وفيما يلي تعريف لكلّ منها:

1- تعريف الحساسية الجمالية: Aesthetic Sensitivity

حسب " تشايلد" تشير الحساسية الجمالية إلى المستوى الذي يظهره الفرد كدليل على الاستجابة للمثيرات ذات الصلة بأنماط خارجية متّسقة.

(Raychaudhuri , M. 1972, p 222)

كما نُعرِّفُهَا كُلُّ من "أَمَلُ العِثَاوِي" و "وفاء الفريداوي"، (2011) بأنّها الانطباع الإيجابي الذي تحدّثه حواسنا تجاه ما هو جميل في البيئة من حيث الشّكل، واللّون، والتّنظيم حسب القيمة الجماليّة للمثيرات (أمل العيثاوي، وفاء الفريداوي، 2011، ص 174).

نلاحظ رغم اختلاف التعريفين السّابقين؛ إلّا أنّ كليهما يشير إلى أنّ الحساسية الجماليّة تتطلب الحد الأدنى من التّأثير بخصائص المثير، كما أنّ كليهما دَقِيقٌ وَيُعَبِّرُ عن المصطلح.

2- التّفضيل الجماليّ Aesthetic Preference

و يُعرِّفُهُ "مصطفى عبد العزيز" (2008) بأنه " نوع من الميل الجمالي الذي يتمثّل في نزعة سلوكيّة عامّة لدى المرء تجعله يحبُّ (أو يقبل على أو ينجذب نحو) فئة مُعيّنة من أعمال الفنّ دون غيرها (مصطفى عبد العزيز، 2008، ص 375).

3- تعريف الحكم الجماليّ Aesthetic judgement:

و يُعرِّفُ "طارق كمال" الحكم الجماليّ بأنه " درجة الاتقان بين الحكم الذي يُصدّره المفحوص على العمل الفني وأحكام الخبراء في الفنّ، ويعني ذلك مدى مسايرة المفحوص للمقاييس الفنيّة الشّائعة في عصره وثقافته" (طارق كمال، 2007، ص 74).

كما يُعرِّفُهُ " تشايلد" Child (1965) بأنه "المدى الذي يتطابق فيه حكم الشّخص على القيمة الجماليّة لعمل من الأعمال الفنيّة، مع معيار خارجي مناسب لقيمتها الجماليّة والمعيار الخارجي المُستخدَمُ هنا مصدره حكم الخبراء" (Nadal, M. op.cit, P 99).

و يرى "ماركوس نادال" Marcos Nadal (2007) " أنّ الحكم الجماليّ يستخدم للإشارة إلى تقييم شخص ما قيمةً جماليّةً أو فنيّةً لمثير بصريّ مُعيّن، و يمكن قياس الحكم باستخدام المعايير الخارجيّة المقدّمة من الخبراء، على الرغم من أن هذا قد تغيّر عبر التّاريخ بتغيّر المعايير وتطورها، كما أنّه لا يمكن أن يكون هناك معياراً لتحديد كيف يكون "الجيدّ" للتّفضيل الجماليّ للشخص، نظراً لأنّ تلك مسألة ذاتيّة وشخصيّة (Ibid, P IV).

نلاحظ أنّ التّعريفات السابقة تتفق جميعها، على أساس أنّ الحكم الجماليّ هو ما يستند من تقييم للموضوعات الجماليّة؛ إلى آراء الخبراء.

4- تعريف الخبرة الجمالية: Aesthetic experience

يُمكن تعريف "الخبرة الجمالية" على أنها حالة مُعيَّنة من الاندماج مع مثير أو موضوع جمالي، لا لسبب إلا لمواصلة التفاعل معه، نتيجة لما نشعر به من متعة واكتشاف وارتياح أو قلق، بتأثير من هذا التفاعل.

(<http://www.nizwa.com/articles.php?id=1598>)

يظهر هذا التعريف الصورة الديناميكية، والتفاعل الإيجابي الذي يطبع الخبرة الجمالية أثناء عملية التذوق وبذلك يمكن أن نُعده تعريفا دقيقا وافيا.

- مراحل عملية التذوق الجمالي:

يشير "حنورة" إلى فكرة قَدَّمها "هولمان" عن وجود مراحل لعملية التذوق الفني مشابهة لمراحل الإبداع و هي:

- 1- مرحلة الاستعداد: أي التَّهيؤ للوقوف بباب العمل لعلَّه يسمح له بالدُّخول.
- 2- مرحلة الاختمار: أو الكمون أو الحضانة، وهي تلك المرحلة التي تَمُرُّ قبل أن يحدث اندماج مع فكرة أو موضوع العمل الفني، وهي تمثل نوعا من الانصراف أو عدم الحضور في المجال السيكلولوجي للعمل، حتى وإن ظل المتلقي في إطار الوجود الفيزيقي للعمل الفني.
- 3- مرحلة الإشراف: أي حدوث انفتاح وفيض، بما يسمح بنوع من الفهم والاستيعاب والبلورة لمضمون العمل ومتعلقاته.
- 4- مرحلة التحقق: وهي المرحلة التي يصل فيها المتلقي إلى حكم وقرار يخص العمل، ويخلص فيه إلى تحديد علاقته به.

وَيُعَقَّبُ "حنورة" (2000) على ما سبق قائلا: "من الواضح أن هذه المراحل التي يتحدث عنها "هولمان" باعتبارها مراحل عملية الإبداع، وباعتبارها في نفس الوقت مراحل عملية التذوق الفني، ليست أكثر من محاولة لتجزئ ما هو متحد، صحيح أن العملية التذوقية تشبه العملية الإبداعية، ولكن مسألة وجود مراحل لا تبدو مقنعة، لأنه بمجرد انخراط الشخص في عملية التلقي، فإنه يَهْبُ

نفسه للعمل، حتى ليصعب التمييز (من قِبَل المتلقي) بينه وبين المجال الذي يعيش فيه (مصري حنورة، 2000، ص119)

- النظريات المفسّرة للتفضيل الجمالي:

عند تناول نظرية من النظريات لأي ظاهرة فإنه ليس بالضرورة أن تشمل هذه النظرية جميع الجوانب المتصلة بهذه الظاهرة، لاسيما إذا كانت هذه الظاهرة تتسم بالهلامية والمرونة من حيث تناولاتها ومداخلها، مثلما هي عليه حال التدوق الفني، والملاحظ أنّ كل نظرية كل تحاول تقديم تفسير لعملية التدوق الجمالي إنما تقدم جانبا واحدا من الصورة الكاملة له.

و بناء على ذلك تعرض الباحثة "تشكيلة" - إن صح القول - من هذه النظريات وسيتم عرضها ابتداء بأقدم النظريات وهي التحليلية و الجشطالتيّة ثم السلوكية ثم باقي النظريات وصولا إلى النظريات المعرفية على النحو الآتي:

1- النظرية التحليلية:

تمحورت مساهمة علم النفس التحليلي غالبا حول تحليل شخصيات الأفراد أو أعمالهم وأشهر مثال ما كتبه "فرويد" عن "ليوناردو دافنشي"، إضافة إلى بعض الشخصيات الأخرى التي نجدها متفرقة هنا وهناك في كتاباته وكتابات أتباعه، كتفسيره للإبداع الفني وتدوقه حيث يعتبرهما أي (التدوق والإبداع) وسيلة للتصريف والتعبير عما هو مخفي في النفس من أجل تحقيق رغباتها التي لها امتداد لاشعوري؛ فهي تمثل حلولا توفيقية بين الرغبات البيولوجية الأساسية التي تنتمي إلى "الهو"، وبين متطلبات "الأنا" و"الأنا العليا"، التي هي أجزاء من الشخصية التي تساهم في التكيف مع الواقع الخارجي ومع مطالب المجتمع، أما عن صدق الافتراضات التحليلية حول تأثير خبرات الطفولة على الشخصية وفاعلية التحليل النفسي كتقنية علاجية فلم تلق التأييد الكافي في نتائج الدراسات التي تلقتها.

(Berlyne, D. E. , 1971, pp 13 – 15)

ومن بين الانتقادات الموجهة لهذه النظرية، يشير "شاكر عبد الحميد" (1987) إلى أن النظرية التحليلية لا تؤدي إلى تنبؤات جديدة، وهذا يرجع إلى أن اللغة التي صيغت بها النظرية هي لغة

مجازية شعرية، ذات نسيج مفتوح، كما أن هناك انتقادات كثيرة تُوجَّه إلى النظرية من وجهة نظر اجتماعية أو أنثروبولوجية، أو من وجهة نظر منطقية خاصة فيما يتعلق بغموض وتناقض العديد من مفاهيمها، كما يرجع سوء تفسيرها للإبداعات الفنية إلى جنوحها إلى النظر إلى الأثر الفني كما لو كان فحسب من قبيل الألبان التي لا يتيسر قط فهم معناها بطريق مباشر (شاكِر عبد الحميد، 1987، ص 41).

وتشير "أمنية الشناوي حسن" كذلك إلى أنه على الرغم من أن نظرية التحليل النفسي اهتمت ببعض الجوانب الهامة في السلوك الجمالي ودراسة الخبرة التذوقية للمتلقّي وأسباب شعوره بالذلة، إلا أنه يُؤخذ عليها أنها أهملت الجوانب الموضوعية للعمل الفني لدرجة أنها لم تُكُنْ هناك أيّة مناقشات تتناول الأبعاد الجمالية في العمل الفني، سواء كانت متعلقة بالخط أو اللون أو الشكل، كما يُؤخذ عليها، عدم الدقة في تناول الموضوعات وتفسيرها ويرجع ذلك إلى تركيزها على الدوافع وإهمالها للوظيفة المعرفية (أمنية الشناوي حسن، 1999، ص 10).

و مما سبق تشير الباحثة إلى أنه رغم كثرة الانتقادات - كما لاحظنا - التي طالت مدرسة التحليل النفسي، إلا أننا لا يجب أن ننسى أن هذه الأخيرة كان لها "قَصْبُ السَّبْقِ" - إن صحَّ التَّعْيِيرِ - في تناول العلمي للسلوك الجمالي من حيث إنتاجه وتذوقه، كما أنه لا يجب أن نغفل الجوانب الإيجابية لها، حيث ينسب إليها الفضل في لفت انتباه علماء النفس إلى عمق ظاهرة التذوق الجمالي وديناميكيته.

2- نظرية الجشطت:

تعتبر نظرية "الجشطت" الأكثر إسهاماً ونجاحاً في مجال الجماليات، ونجد ذلك بشكل أساسي في أعمال "كوفكا (1940)"، و"أيرنهايم" (1954) هذا الأخير الذي يعتبر من الكُتَّاب الغزيري الإنتاج، والمُطَوِّرين في سيكولوجية الفن (Berlyne, D. E ,op.cit ,pp 15).

كان امتداد النظرية الجشطتية بتفسيراتها إلى مجال الفن أمراً طبيعياً باعتباره المجال الذي يمكن أن تتجلى فيه بصورة واضحة عمليات التنظيم، وإعادة التنظيم للعمليات الإدراكية وعمليات

الاستبصار وعمليات التذوق وغير ذلك، من العمليات التي تمثل المداخل الأساسية لفهم سيكولوجية النشاط الفني الإنساني.

و قد كان "أدولف أيرنهايم" هو المتحدث الرسمي باسم الجشططت في مجال الفن، وكانت كتبه العديدة ومقالاته عن الفن والنشاط الفني بالغة التأثير، وقد احتلَّ "أيرنهايم" في الواقع منصب أول أستاذية في العالم قاطبة لسيكولوجية الفن في جامعة "هارفارد" اعترافاً به وبإنجازاته.

تتمسك "النظرية الجشططتية" بأن الحواس تحمل أو تتقل مادة غير متبلورة أو غير منتظمة يُفرضُ عليها النظام من خلال العقل. إنها تؤكد بدلا من ذلك على أنَّ الشكل الجيد هو خاصية في الطبيعة عموما عضوية كانت أم غير عضوية، وقد أكدَّ "كوهلر" في كتابه المبكر عن "الجشططت الطبيعية" على أنَّ الميل نحو إنتاج الأشكال البسيطة يمكن ملاحظته في العديد من الأنساق والمجالات الطبيعية، حيث أن القوى المتفاعلة تبذل ما في وسعها لخلق حالة من التوازن (شاكر عبد الحميد، 2001، ص 47).

3 - المنحى السلوكي :

اهتمت النظرية السلوكية بكشفها عن الجوانب المختلفة لسلوك المتذوق بالتجريب والبحث العلمي، وافترضت أن الإنتاج الفني عبارة عن منبهات حسية تثير لدى البشر بعض الاستجابات، فالعمل الفني ينبه مراكز الحس بما تحمله من موجات صوتية، أو ضوئية، أو وسائل فيزيقية أخرى. وقد كانت إسهامات السلوكية مفيدة بالنسبة للبحث العلمي والتجارب المعملية للضبط والكشف عن الجوانب المختلفة لسلوك الجمالي كان أبرزها نظرية مستوى التكيف، و نظرية المقياس الجمالي لبيركوف إضافة إلى نظرية "بيرلين".

3-1 نظرية مستوى التكيف:

رغم أن هذه النظرية ترتبط عامة بمستوى التكيف، ومن أهم أسسها أنَّ لكل فرد مستوى أمثل لتكيفه، إلا أنها حاولت تفسير سلوك التذوق الفني في ضوء نتائجها هذه، وترى أننا يجب أن نبحث عن محددات سلوك التذوق الجمالي داخل الفرد أكثر من خارجه، وأن الميول التعبيرية تؤثر في

الجهاز العصبي المركزي، والجهاز الحركي و الميكانيزمات الحركية وقت الحزن؛ بطريقة مغايرة لوقت السرور.

و من هنا فإن المثيرات المتماثلة قد تُنتج استجابات مختلفة حينما تظهر في مجالات مختلفة، وحينما تتغير حالة الكائن الحي، ومن أهم الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية، قولها بأنه ليس من الضروري أن كل مثير جميل يكون محققا لتكامل الشخصية، ومنه يكون مفضلا؛ بل يتوقف هذا على عملية التكيف التي تحدث بين هذا المثير والشخصية المدركة له، وإذا استطاع المتذوق إحداث تعديلات داخلية للمثيرات التي يتلقاها بحيث يحقق المستوى المطلوب من التكيف كانت هذه المثيرات مقبولة لديه وإلا فإنها تظل محتقظة بخاصية التطرف هذه انخفاضا وارتقاعا (أيمن القاضي، 1999، ص 16).

3-2 نظرية "المقياس الجمالي" لبيركوف:

كان "جورج بيركوف" George Birkhoff (1932) أول من حوّل هذا الحدس أي "الجمال"، إلى صيغة رياضية، واقترح وسيلة للمقارنة بطريقة عقلية بين مواضيع جمالية متنوعة. من وجهة نظره، تأتي القيمة الجمالية لمثير أو موضوع ما من خلال العلاقة بين نظامه وتعقيده، كالترتيب والبساطة في الأعمال الفنية، وقد أسس صيغته الشهيرة على فرضية فحواها أن الجهد الذي يبذله شخص ما ليهتم بمثير معين ويركز معه ينمو بالتوازي مع مقدار تعقيد التفاصيل المرئية للمثير.

وقد ساهم "بيركوف" (1932) مساهمة رياضية مهمة، حيث عرض صيغة رياضية تسمح بالمقياس الجمالي حيث تمثل (M) مدى السرور والمتعة الجمالية اللذين نشعر بهما نحو المواضيع، في حين يمثل (O) الترتيب، و يمثل (C) التعقيد. (Nadal, M.op.cit, p 8)

وفقا "لبيركوف" يمكن قياس القيمة الجمالية للمثيرات، والتي تتأتى من خلال المعادلة التالية:

$$M = \frac{O}{C}$$

واقترح أيزنك تعديلا لهذه المعادلة لتكون على النحو التالي :

$$M = O \times C$$

(Mbipom ,G.& Harper ,S, 2009, p 9)

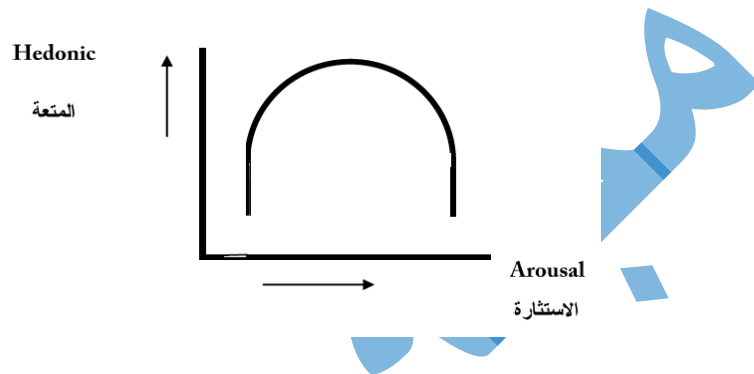
على الرغم من أن "نظرية بيركوف" تمثل نهجاً رياضياً في مجال القياس الجمالي والذي يجعلها علمية، إلا أن برلين (Berlyne) يرى أن "بيركوف" لا يزال لديه بعض العناصر من "الجماليات التأملية"، ربّما لأن برلين لم يجد أسلوب "بيركوف" لتحديد التعقيد والترتيب مقنعا بالشكل الكافي، لاسيما وأن متغيرات "بيركوف" قد اختيرت بدون دراسة أو استخلاص للنتائج من الاستجابات الجمالية البشرية والسلوكيات العامة. ويبدو أن الربط بين المنهج التأملي والعلمي لدراسة التفضيل الجمالي يمثل مشكلة بالنسبة لهذه الممارسة (Ibid,p11).

يشير "ماركوس نادال" (Marcos Nadal, 2007) إلى أن "بيركوف" نفسه، لم يُقَمَّ بأية دراسة جادة للتأكد والتنبؤ من نموذج، ومع ذلك، تم اختبار صيغته من طرف علماء آخرين. وأسفرت هذه الجهود عن نتائج متناقضة. فعلى سبيل المثال، فقد وجد كل من "بيرغوس" "Brighouse (1939)، و"ماير" "Meier" (1942) نتائج تدعم وجود العلاقة التي تكلم عنها "بيركوف" بين التعقيد والنظام، في حين جاءت نتائج الدراسات التي قام بها فيبر Weber (1927)، "بيب-سانتر" "Beebe-Center"، و"برات" "Pratt" (1930)، و"دافيز"، Davis (1936) وأيزنك Eysenck (1942) على عكس ذلك. (Nadal, M. op.cit, P 9)

3-3 نظرية الاستشارة لـ"برلين" :

فبرلين "Berlyne" بلا شك واحد من أبرز الشخصيات المساهمة في تنشيط دراسة الظواهر النفسية ذات الصلة بالفن والجماليات. خلال الستينيات والسبعينيات، حيث وضع برنامجا لبحوث واسعة، عرفت باسم "علم الجمال النفسي" أو "الجماليات النفسية"، الذي أصبح نقطة انطلاق للجماليات التجريبية المعاصرة. وكان هدفها الأساسي التفصيل في مجموعة من قوانين السعادة "اللذة" التي يمكن أن تفسر تفضيل الناس لبعض الأنواع من المثيرات.

وتنصُّ نظرية الاستثارة لـ "برلين" أن المتعة أو "السُرور" تتناقص مع زيادة التعقيد حيث تحدث المنبهات المتوسطة التعقيد سرورا أكبر مقارنة بالمنبهات البسيطة أو الغاية في التعقيد ويظهر ذلك في منحنى فونت Wundt الذي يتخذ شكل U مقلوب، حيث يمثل المحور الأفقي: الخصائص المميزة للمنبه، والمتغيرات الإيكولوجية، والطريقة التي عرض بها المثير في حين يمثل المحور العمودي: ما يُحدثه المنبه من أثر في نفس المفحوص من متعة وسرور (Ibid, P13).



شكل رقم (01): يُمثل العلاقة بين التفضيل الجمالي و خاصية المثير من وجهة نظر بيرلين (Mbipom .G & Harper. S, op.cit , p7)

و قد عقت "نشوى زكي حبيب" معيبة على هذه النظرية؛ أنها نظرت بسطحية للسلوك على أنه مجرد زيادة كمية بعيداً عن كونه عملية تنظيم معرفي وانفعالي ضمن مبدأ مثير - استجابة (نشوى زكي حبيب، 1999، ص 26).

4 - المنحى المعرفي:

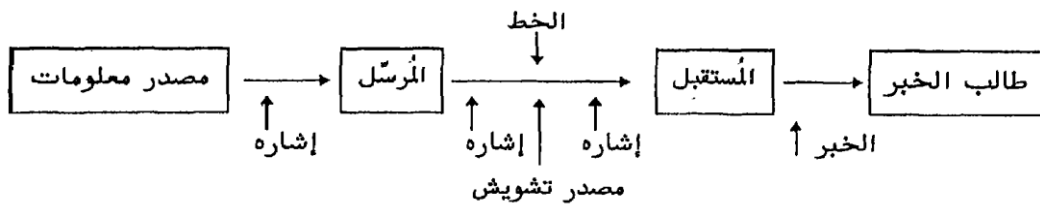
4-1 نظرية مارتيندال (1974):

افترض "مارتيندال" (1974) نظرية معرفية في التفضيل الجمالي تفسر السلوك الجمالي وطبقاً لهذه النظرية فإن مقدار السُرور الذي يستثار من خلال المثير الجمالي، ما هو إلا وظيفة لكيفية استثارة التمثيل الداخلي أو كيفية استثارة الوحدات المعرفية التي تُشعر هذه المثيرات، وتؤسس هذه النظرية على النموذج المعرفي الذي افترضه "مارتيندال"، وهو مشابه للنماذج الحديثة الخاصة بطريقة عمل العقل، حيث ينظر إلى العقل على أنه مكون من مجموعة وحدات معرفية تنقسم إلى طبقات أو فئات تخصص كل منها للعمليات الإدراكية والعمليات التصورية. ووفقاً "لمارتيندال" فإن الوحدات

المعرفية تختلف في قوتها في كيفية الاستثارة، حيث يمكن افتراض أن وحدات تشفير المثيرات التتميطية (التي تتكرر بشكل أكبر) أقوى من وحدات تشفير المثيرات غير المتكررة، ويرى "مارتيندال" أن المثير السار هو المثير الذي يستثير وحدة معرفية أقوى، لديها القدرة على استثارة بقية الوحدات المجاورة الخاصة بالفئة التي تنتمي إليها، ومن ثم يزيد تفضيل المثير، في حين يكون المثير غير السار عكس ذلك مستثيرا وحدة معرفية ضعيفة وغير قادرة على استثارة أية وحدة مجاورة لها، ومن ثم يقل تفضيل المثير، وعلى هذا عندما يُسَبَقُ المثير أو يُصاحَبُ بمثير آخر فإن المثير الأول يزيد من تفضيل المثير الثاني والعكس صحيح (أمنية الشناوي حسن، مرجع سابق، ص 15).

4-2 نظرية معالجة المعلومات:

و مؤسس هذه النظرية هو "ويفر" (Weaver) حيث تَحَدَّثُ عن هذه النظرية باعتبارها علم الضبط، والاتصال، والرسم التالي يوضح هذه النظرية.



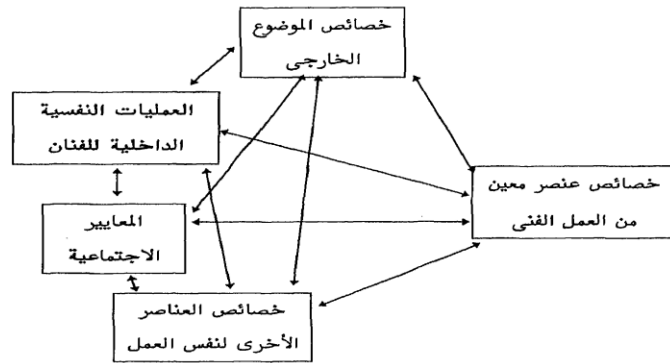
شكل

رقم (02) يوضح توصيل المعلومات من وجهة نظر نظرية المعلومات

(نشوى زكي حبيب، مرجع سابق، ص 26)

وبناءً على الشكل أعلاه نستطيع القول بأن نظرية المعلومات تُفَسِّرُ التَذَوُّقَ على أنه عملية اتصال تتوقف الكثير من خصائصها على كمية ونوع وخصائص المعلومات التي يطرحها المثير أو الموضوع الفني موضع التذوق، وما يتم خلال العملية من استيعاب ثم المقارنة بين نفس العمل وأعمال أخرى موجودة في عقل الإنسان (أيمن القاضي، مرجع سابق، ص 16).

و ذلك من خلال وجود طرفين أحدهما هو المرسل، والثاني هو المتلقي، أو المتذوق بينهما قناة توصيل، ورسالة محمولة على هذه القناة، والشكل التالي يوضح هذه القنوات التي من خلالها تُنْقَلُ المعلوماتُ الخاصّة بأحد العناصر في العمل الفني:



شكل رقم (03) يوضح قنوات نقل المعلومات لعنصر ما في العمل الفني

(نشوى زكي حبيب، مرجع سابق، ص-ص 28 . 27)

وقد عيّنت "نشوى زكي حبيب" مبنية الجوانب السلبية والإيجابية لهذه النظرية؛ واعتبرت بأن هذه النظرية تمكنت من تحليل بعض الجوانب البنائية للعمل الفني، إلا أنها كانت غير قادرة على تفسير المعاني المتضمنة في الفكرة، كما عابت نظرتها التجزئية للعمل الفني بينما هو في الأساس يعتمد على الإدراك الكلي، لكنها عادت لتبين أهمية النظرية كونها تتناول الفن من خلال ردود فعل جمالية متبادلة وخبرة (المرجع نفسه، ص 28 . 29).

- تعقيب عام حول النظريات:

و في الأخير وبعد هذا العرض الموجز لأهم النظريات الفاعلة في المجال الجمالي يمكن القول بأنه لا وجود لنظرية شاملة قد تمكنت من استيفاء كل الجوانب المتعلقة بالظواهر النفسية بشكل عام والجمالية بشكل خاص، ذلك الشعب الذي قد يدخل الباحث أو العالم في متاهات لا تصل به بعيداً، وعلى أية حال فإن التخصيص والتركيز على جانب من جوانب السلوك دون آخر، واستثناؤه بالدراسة ليس عيباً؛ بل من شأنه تحصيل نتائج دقيقة ومحكمة كما من شأنه إثراء الظاهرة موضوع الدراسة بشكل خاص والمعرفة العلمية بشكل عام.

- العوامل المؤثرة في التفضيل الجمالي:

يختلف الذوق الجمالي من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر؛ فحتى الشخص الواحد قد يختلف تذوقه للعمل الفني الواحد بين الفترة والأخرى، وهذا طبعاً لا يتم اعتباطاً، إنما العملية مبنية

على أسس ومبادئٍ معيّنة، منها ما يتعلّق بالفرد بحدّ ذاته، ومنها ما يتعلّق بطبيعة المثير ومنها ما تعلّق بالظُرُوف والزّمان والمكان والطّريقة.

1- عوامل متعلّقة بالمتلقّي:

1-1 عوامل ديمغرافية :

أظهرت الدراسات أن المتغيرات الديموغرافية، مثل نوع الجنس، والوضع الاجتماعي والاقتصادي، والعمر، يمكن أن تؤثر على الاستجابات الجمالية. والجنس هو واحد من بين هذه المتغيرات الديمغرافية، وهناك دراسات تُظهر أن الإناث يملن بشكل أكبر للفن بشكل عام بالمقارنة مع الذكور، كما تبين أن الإناث يملن إلى تفضيل الفن التجريدي حسب إحدى دراسات "فرومكين" (1963 frumkin)، بينما وجدت دراسة أخرى لـ (Bernard, 1972) أن الذكور أكثر انجذاباً للفن الحديث أكثر من الإناث. أمّا دراسة "كوبتشيك" Cupchik "وجيبوتيس" Gebotys (1988) فقد أظهرت أن الإناث يفضّلن الفن التمثيلي في حين يُفضّل الذكور الفن التجريدي (Leon, E . , 2007, p 41).

بينما في دراسة أخرى اكتشف "فورنهام" و "ووكر" Furnham & Walker (2000) أن الإناث يملن إلى تفضيل الفن التجريدي أكثر من الذكور وقد يرجع ذلك إلى أن للإناث درجات أعلى في العصابية من الذكور (Kristen, A. & Ken . S, w.d, p 35).

ونفس النتيجة توصّلت إليها دراسة "أيزنمان" (Eisenman, 1967) التي أظهرت أن الجنس عاملٌ بالغ التأثير لتفضيل التّعقيد، حيث أثبتت دراسته أن الإناث يملن إلى تفضيل درجة أكبر من التّعقيد أكثر من الذكور (Osborne. J, & Frank.F , 1970 , p 70).

2-1 العوامل المعرفيّة:

إنّ التّفضيل الجمالي كما يشير "ماركوس نادال" (Nadal ,M. et al., 2008) هو العملية التي تنطوي على عمليّات معرفيّة متعدّدة، والتي تحدّث في مناطق مختلفة من الدّماغ وفي أطر زمنيّة مختلفة (Nadal ,M. et al , 2008, p 387).

و يقول "جورج سانتيانا" مؤكداً على تأثير العمليات المعرفية في نظرتنا الجمالية "إذا اختلفت طبيعة الشخصين؛ فالصورة التكوينية التي يجدها الشخص الأول ساحرة، قد يعجز الثاني عن رؤيتها على الإطلاق، لاختلافهما في تصنيف إدراكاتهما والتمييز بينها".

و يُردف قائلاً: "أما أكثر التأثيرات أهمية إنما يرجع إلى تنسيقها وإلى ما يتحقق فيها من علاقات تصوّرية، ولذلك لا يزال يتحتم علينا أن ندرس تلك العمليات الذهنية التي يُدرَك عن طريقها هذا التنسيق وهذه العلاقات (جورج سانتيانا، 2001، ص - ص 83 - 126).

و يؤكد سولسو (Solso, R. 1996) أن ترجمة الرسالة الفنية وإعطاء معنى لها متعلق بخبراتنا السابقة المترسبة عن الفن ومتعلقاته، حيث تصبح هذه الخبرات كخبرات إدراكية داخلية؛ لترجمة أي فن تقع عليه حواسنا فيما بعد؛ فمثلاً معرفتنا بتاريخ الفن أو بالعقائد التي شكّلت خلفية لهذا العمل الفني أو بقصة حياة صاحبه (مُنْتَجِه)، تؤثر على الطريقة التي ندركها به (Solso, R. 1996, P 102).

وهذه النظرة تتوافق مع نظرة ليدر وآخرين Leder, H. et al (Leder, 1 H. et al, 2010, P 2)

1-3 الخبرة والتدريب:

تجربة الفن هي تجربة ذات أثر على التذوق الجمالي، حيث أن التدريب والخبرة يساعدان على شحذ الإحساس بالجمال، ويُثَقِّنان حول ما يُعْتَبَرُ جيّداً الفن، حيث يُفسّر "فرونهام و ووكر" (Frunham & Walker, 2001) الاختلافات في التفضيل الفني بين المدربين و غير مدربين؛ بأن الناس الذين يتعرضون عادة للفن أكثر معرفة وفهما وتذوقاً للقيم الثقافية والفنية لما هو جيد من الفن، كما يتعرضون إلى أنماط غير عادية أكثر من الفن، التي يمكن أن تؤدي إلى تصنيف هذا الفن كفنٍ أرقى من غيره، بغض النظر عن القيم الشخصية الخاصة بهم (Leon. E ,op.cit , pp 43. 46).

وقد دعمت كثير من الدراسات النتائج التي أسفرت عنها أبحاث أيزنك حيث أظهرت دراسة لـ "سيفرت" (Seifert 1992) أهمية "قاعدة المعرفة" في تذوق الفن وتفضيله، هذه المعرفة التي تتأتى من تعليم الفن والتربية عليه، إضافة إلى دراسة "وينستون" و"كوبتشيك" Winston and Cupchick (1992) اللذين قاما بتجارب أكثر تعقيدا؛ وقد أظهرت هذه الدراسة دور التدريب الفني في تفضيل المثيرات الفنية ذات المستوى العالي من الرقي (MARTY ,G. et al , 2003,p 480).

1-4 الحالة النفسية و مميزات الشخصية:

ويؤكد "ليون" (Leon , E.2007) أن مزاج المتلقي ونوعية العاطفة التي تطبع العمل الفني، يمكن أن يسهما إسهاما كبيرا في التذوق الفني بشكل عام (Leon ,E. op.cit , p 32). وقد تبين من البحوث النفسية في هذا المجال أن تفضيل المعقد يُعدُّ من دوافع بعض أنماط الشخصية، على أساس أنه عنصر من عناصر التذوق، فمن الناحية المزاجية اتضح أن الميل إلى التعقيد يرتبط ارتباطا إيجابيا بالرقعة، والمجارة، واحترام الأحكام الأخلاقية. (عبد العلي الجسماني، 1995، ص 43)

2 - عوامل متعلقة بخصائص المثير:

في دراسة للتفضيلات الجمالية للملابس والموضة، لـ "وودز" و"بادجيت" Padgett Woods & (1987)، تبيَّن أن الأفضلية تتحدد بنوعين من خصائص العناصر الداخلية والمحتوى الرمزي الخارجي؛ فالعناصر الداخلية تتعلق بالخطوط، الألوان، الأشكال والتناسق، إلخ من المثيرات وخارجية تتعلق بقيمة الرمزية للمثير، على سبيل المثال تسميات مصممين والمتاجر أو أصحاب اللوحات والقصائد. فهذه الرموز الخارجية تؤثر على الأحكام الجمالية. (Leon, E .op.cit , pp 36. 37)

واستنادا إلى علماء النفس الجشططت، فنحن لا نسمع أو نرى عناصر بصرية وأصوات معزولة أو منفصلة، بل هيئات وتكوينات لها علاقة بحدوث تنظيم إدراكي في الجهاز العصبي، فبعض تنظيمات

الأشكال مثل الانتظام، والتماثل، والبساطة هي في كثير من الأحيان كافية لانتقاء الأفضل بين شكلين أو أكثر (Berlyne, D. E. op. cit , p 16).

ويرى "ليدر" وآخرون (Leder , H. et al, 2010) التقييمات الجمالية تتأثر بمتغيرات مثل مدة التعرض للمثير، وتواتر التعرض، والوضوح (Leder ,H.et al, op.cit ,p1).

كما أن الألفة بالمثير، أو الجودة، أو الغرابة التي تطبعه يمكن أن تؤثر على تذوقنا له. ويضرب "وليد السعيد" (1980) مثالا على الألفة والجدة في التذوق الأدبي، حيث يقول: "إن حكم شخص ما على قطعة أدبية قراها مرّات عديدة، يختلف عن حكمه على نفس القطعة حين يقرأها لأول مرّة، لأنّه في كل قراءة جديدة لها يكتشف أسراراً لم يلاحظها في المرة الأولى، وهذه الاكتشافات الجديدة في النص، قد تغيّر حكمه على النص، مما يؤدي إلى اختلاف في التذوق، وتجديد فيه حسبما يتّوَصَّل إليه القارئ (وليد السعيد، 1980، ص 38).

و يُعتبر التّعقيد و الغموض والبساطة من بين أهم وأشهر خصائص المثير وأكثرها دراسة.

❖ تباعدُ الأزمانِ و الأماكنِ :

فالتذوق في العصور القديمة، يختلف عنه في عصرنا الحاضر، وحكمُ ناقد كـ"عبد القاهر الجرجاني" على نصّ أدبيّ يختلف عن حكمِ ناقدٍ في عصرنا هذا لنفس النص، وكلُّ ذلك يعود إلى تطوّر العلم والثقافة، وظهورِ علومٍ ومخترعاتٍ جديدةٍ بدلتِ الأذواقَ وغيّرتها عمّا كانت عليه، والقارئُ أو المتذوّقُ يختلفُ ذوقه في الصِّبا عنه في الشَّباب، وفي الشَّبابِ عنه في الهرم، وكلُّ ذلك لتباعدِ الأزمنةِ وتحوُّلِ الإنسانِ من طورٍ إلى طورٍ آخرٍ يختلفُ عن الذي قبله اختلافاً كبيراً (المرجع نفسه ، ص 37).

3- العوامل البيئية و الثقافية :

يؤكّد "أنجلز": "إنَّ أفكارَ الطبيعة السائدة هي بعينها الأفكارُ السائدة في كلِّ عصر، ولا يُمكنُ إلّا أنْ نشتمَّ الأعمالَ الفنيّة من خلالها، وحُكمها حُكم المذاهبِ السياسيّة والأخلاقيّة والدينيّة (جان بارتليمي، 2002، ص - ص 35 : 38).

و كمثل على ذلك يستشهد "وليد السعيد" (1980) بلطيفة ضاربة في تاريخ الشعر العربي، حيث كان الشاعر "علي بن الجهم" يسكن البادية ولماً وقد على الخليفة ليمدحه قال شعراً:

أنت كالكلب في حفاظك للود * وكالتيس في قراع الخطوب

فقام الخليفة بنقله إلى المدينة ليعيش ببغداد ليعود "علي بن الجهم" ممتدحاً إياه بقصيدة جميلة رقيقة:

غيون المها بين الرصافة والجسر * جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

ومن هذا تتضح لنا أهمية البيئة في تغيير الأذواق واختلافها. (وليد السعيد، مرجع سابق، ص 37) ويؤكد (إحسان الرباعي) على هذه أهمية البيئة الحضارية و الثقافية في الإبداع وتذوقنا له بقوله: "إن مفاهيم الدقة، والتناسق، والتوازن، والترابط، والحركة وغيرها من المصطلحات التي يتحدد فيها مقدار الإبداع الفني، هي وليدة المؤثرات الحضارية في الطبيعة وسمات جمال في الكون أدركها الإنسان وأودعها نتاجه وأعماله الفنية من أجل إيجاد حالة إبداع فني"، ومن هنا تكون النظرة إلى الإبداع في الحياة الإنسانية على هذا المستوى الشامل، المستمد من حقيقة الكون، والمؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية، كفيلة بأن توسع مفهومنا الإبداعي وإدراكنا الجمالي ولا تحصره في حدوده الصغيرة المعروفة. إبداع فني فيه تبدو حقيقة المجتمع وحقيقة الفرد (الأنا) فلا تختل هذه ولا تلك، وهذا يعني أن المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة في مجتمع ما هي التي تعكس صورة الحرية ومعناها فيه". (إحسان عرسان الرباعي، 2004، ص - ص 215 . 216)

ثانياً: التفضيل الجمالي * Aesthetic preference

رغم أن دراسة عملية التفضيل الجمالي تمثل جانباً واحداً فحسب من جوانب دراسة السلوك الجمالي إلا أنها على ما يبدو قد استأثرت بالجانب الأكبر من الدراسات في هذا المجال وقد سبقت الإشارة إليه قبلاً في عجالة و فيما يأتي تفصيل في هذا المصطلح:

- تعريف التفضيل الجمالي:

وفيما يلي عرض لأهم التعريفات للتفضيل الجمالي لغة واصطلاحاً

1- تعريف التفضيل الجمالي لغة:

جاء في لسان العرب التفضيل من الفعل فَضَّلَ، وَفَضَّلْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ تَفْضِيلًا إِذَا حَكَمْتُ لَهُ بِذَلِكَ أَيْ صَيَّرْتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْضَلُهُ فَضْلًا أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْفَضْلِ وَكُنْتُ أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ أَيْ زَادَ (ابن منظور، مرجع سابق، ص 3429).

2- تعريف التفضيل الجمالي اصطلاحا:

وَيُعَرَّفُهُ "شاكِر عبد الحميد" نقلاً عن "أبي حطب" بأنه "نوعٌ مِنَ الاتِّجَاهِ الجماليّ الَّذِي يَتِمُّثَلُ فِي نَزْعَةِ سُلُوكِيَّةٍ عَامَّةٍ لَدَى الْمَرْءِ تَجْعَلُهُ يُحِبُّ أَوْ (يُقْبَلُ عَلَى أَوْ يَنْجَذِبُ نَحْوَ) فَنَّةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْفَنِّ دُونَ غَيْرِهَا (شاكِر عبد الحميد وآخرون ، 1997، ص243-244).

و يُضَيِّفُ "عبد السلام الشَّيْخ" وَ مُوَضِّحاً كَذَلِكَ أَنَّ الْوَعْيَ وَالْإِرَادَةَ أَوْ الْاسْتِنْتَاجَ الْعَقْلِيَّ يَجِبُ أَنْ يَقْلَّ إِلَى أَدْنَى حَدٍّ مُمْكِنٍ وَرَاءَ هَذَا الْإِحْسَاسِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ الْإِحْسَاسُ بِالْجَمَالِ وَالَّذِي يَتَضَمَّنُ أَحْكَاماً لَفْظِيَّةً مُتَبَايِنَةً مِثْلَ الْإِحْسَاسِ بِالسُّرُورِ، بِالنَّشْوَةِ، حَتَّى بِمَجَرَّدِ الرَّغْبَةِ فِي رُؤْيَا الْمَثِيرِ أَوْ سَمَاعِهِ (نشوى زكي حبيب، مرجع سابق، ص11).

- طرق قياس التفضيل الجمالي:

لقد تنبَّه الباحثون في الآونة الأخيرة إلى ضرورة ابتكار وسائلٍ علميةٍ لقياسِ الجمالِ وكذلك كشرطٍ لدراسةِ الجمالِ بطريقةٍ علميةٍ، وتوصَّلوا لعدَّةِ أدواتٍ بعضها وصفيٌّ، باستخدامِ الكلماتِ وبعضُها يعتمدُ على دقَّةٍ أكبر، لكنَّ المشكلةَ الَّتِي كَانَ يَصْطَدِمُ بِهَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الدِّرَاسَاتِ هُوَ صُعُوبَةُ الضَّبْطِ وَالتَّحْكُمِ فِي الظَّاهِرَةِ الجماليَّةِ لِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنَ النَّسْبِيَّةِ؛ كَمَا أَنَّهُ تَوْجَدُ اخْتِلَافَاتٌ بَيْنَ جَمَالٍ وَآخَرَ، وَاخْتِلَافَاتٌ فِي مَعَايِيرِ الْقِيَاسِ الجماليَّةِ.

1- القياس المباشر:

1-1 أسلوب الاختيار و الترتيب:

أشار "فخنر" إلى ثلاثة من الأساليبِ استخدمها في تجاربِ الجمالياتِ، كَانَ هُنَاكَ أَسْلُوبُ الاختيارِ the method choice، حَيْثُ يَتَمُّ تَقْدِيمُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَثِيرَاتِ "مَوَاضِيَعٍ" لِلْأَفْرَادِ الْمَبْحُوثِينَ

أو المشاركين ويُطلَب منهم المقارنة والاختيار بينها أو ترتيبها بناءً على ما تُثيره من سرور ومتعة. (Berlyne, op.cit, pp 11. 12).

1-2 الاختبارات و المقاييس:

* من أهم المقاييس في البيئة الأجنبية:

- اختبار "أيزنك" للتفضيل الجمالي للمعقد والبسيط .

- اختبار الفن لـ"بارون وولش" (Barron- Welch art scale 1947)

وهو اختبار يكشف عن حالة القبول وعدم القبول للرسمات، بعد ذلك تمّ توسيع نطاق الاختبار إلى 400 رسمة، ليميز بين تفضيل الفنانين وغير الفنانين (Ibid, PP 97. 98).

* من أهم المقاييس المطبقة في البيئة العربية:

- اختبار التذوق البصري للأشكال من تأليف عبد السلام الشّيش، و مقياس الاتجاه نحو التّفضيل الجمالي لعبد السلام الشّيش و مقياس التّفضيل الجمالي لـ"شاكر عبد الحميد" وآخرين (نشوى زكي حبيب، مرجع سابق، ص 172).

2- القياس غير المباشر للتفضيل الجمالي:

تتمثل هذه القياسات في القياسات الفيزيولوجية (كاستجابة الجلد الجلفانية، والتّصوير بالرنين المغناطيسيّ الوظيفي... إلخ)، مما يسمح بمراقبة الأثر الذي تُحدثه المثيرات وقياسه. ويُشترط هنا سلامة الأجهزة وصحة القياسات (Stephen, E. et al. 2013 , p 177).

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- إبراهيم مذكور، (1983)، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية مصر.
- ابن منظور، (ب.ت)، تحقيق عبد الله علي الكبير محمّد، وآخرون، دار المعارف القاهرة.
- إحسان عرسان الرباعي، (2004)، الحرية والإبداع وعلاقتهما بمفاهيم الفن والجمال، مجلة جامعة دمشق - المجلد 20 - العدد (3- 4)، ص-ص 195-220

- أمل العيثاوي، وفاء الفريداوي، (2011)، الحس الجمالي لطفل الروضة، مجلة البحوث التربوية، العدد 31، بغداد ص- ص 171-195.
- أمنية إبراهيم الشناوي حسن، (1999)، التفضيل الجمالي لخصائص المثير المرئي وعلاقته بالانفتاح على الخبرة وبعض خصائص الأسلوب الإدراكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا كلية الآداب قسم علم النفس، مصر.
- أيمن عبد الجليل محمد القاضي، (1990)، فاعلية التشريط تحت العتبة الإدراكية كمحك فارقي إكلينيكي، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس، كلية الآداب - جامعة طنطا، مصر.
- توفيق سعيد، (2002)، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة
- جان بارتليمي، (2002)، بحث في علم الجمال، ترجمة أنور عبد العزيز، مراجعة نظمي لوقا، دار نهضة مصر، القاهرة.
- جورج سانتيانا، (2001)، الإحساس بالجمال، ترجمة محمد مصطفى بدوي مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- شاكِر عبد الحميد، (1987)، العملية الإبداعية في فن التصوير، دار عالم المعرفة، الكويت.
- شاكِر عبد الحميد، (2001)، التفضيل الجمالي، دراسة سيكولوجية للتفضيل الجمالي، دار عالم المعرفة، الكويت.
- شاكِر عبد الحميد، وآخرون، (1997) دراسات نفسية في التذوق الفني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- عبد العلي الجسماني، (1995)، سيكولوجية الإبداع في الحياة، ط1، الدار العربية للعلوم بيروت.
- مصرى عبد الحميد حنورة، (2000)، علم نفس الفن وتربية الموهبة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة .

- مصطفى محمد عبد العزيز، (2008)، سيكولوجية فنون المراهق، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر طارق كمال، (2007)، سيكولوجية الموهبة والإبداع، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- نشوى زكي حبيب، (1999) بعض متغيرات الشخصية وخصائص المثير المسؤولة عن رفع أو خفض درجة الإزاحة بين تذوق العاديين والمتخصصين في الفنون المرئية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب قسم علم النفس - جامعة طنطا، مصر.
- وليد وفيق السعيد، (1980)، تأسيس التذوق الأدبي في التربية الابتدائية في الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القديس يوسف، بيروت.

<http://www.nizwa.com/articles.php?id=1598>, 05/09/2014, 14:30.

المراجع الأجنبية:

- Berlyne, D. E. (1971). **Aesthetics and Psychobiology**, Appleton-Century-Crofts, University of Toronto, New York.
- Boşca, I. (2011), **The Role Of Culture In Shaping Aesthetic Taste and Attitude**, Euromentor Journal, Volume Ii, N° 1 Bucharest.
- Kristen, A. & Ken, S. (w.d) **Relationship Of Personality To Preference For Representational Versus Non-Representational Art**, Nipissing University, North Bay, Ontario, Canada.
- Leder, H. Et al, (2010), **Psychology of Aesthetics, Creativity, and the Arts**, Online First Publication, Accepted February 26, 2010, doi: 10.
- Leon, E. (2007) **Personality, Affective and Motivational Factors in the Appreciation of Art of Three Levels of Abstraction and Two Affective Tones**, Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements ,for the Degree Doctor of Philosophy, Department of Clinical and Social Psychology The College Arts & Sciences University of Rochester, New York.
- Marty ,G. et al, (2003) , **Dimensiones Factoriales De La Experiencia Estetica**, Facultad De Psicología Universidad De Islas Baleares, Vol. 15, nº 3, pp. 478-483 ,Mallorca (Spain).

- Mbipom , G. & Harper ,S. (2009),**Visual Aesthetics and Accessibility: Extent and Overlap**, Human Centred Web Lab, Technical Report 2 ,Manchester.
- Nadal, M. R. (2007) ,**Complexity And Aesthetic Preference For Diverse Visual Stimuli**, Doctoral Thesis, Departament de Psicologia Universitat de les Illes Balears.
- Nadal, M.et al (2008) **Towards a framework for the study of the neural correlates of aesthetic preference** :Spatial Vision, Vol. 21, No. 3–5, pp. 379–396 Mallorca – Spain.
- Osborne, W. J. and Farley,H. F. (1970) ,**The relationship between aesthetic preference and visual complexity in absract art**, Psychon. Sei., , Vol. 19 (2) (W.p).
- Raychaudhuri, M.(1972), **Algunos correlatos perceptivos de la sensibilidad estética**, Revista Latinoamericana de Psicología, vol. 4, núm. 2, pp. 221-226, Colombia .
- Solso, R. (1996). Cognition and the visual arts, Bradford Books London.
- Stephen, E. Et al., (2013) **Visual Aesthetics and Human Preference**, Rev. Psychol. 64:17.1–17.31, California.